قبل ظهور الإسلام .

وهذا كله من باب الأساطير التى لا يؤيدها دليل تاريخى صحيح ، بل - على العكس - تنقضها قضية ظهور الفصحى فى الجزيرة العربية ، وهى اللغه التى نظمت فيها هذه النصوص ، فلم تكن هذه الفصحى قد ظهرت بعد فى هذه العصور السحيقة المولغلة فى القدم .

وحتى لو قبلنا بعض ما يرويه هؤلاء الرواة من « قديم الشعر » وبعض ما ينسبونه إلى « أوائل الشعراء » مما اطمأنوا إليه وصححوا نسبته إلى أصحابه، فإننا لا نستطيع أن نذهب معهم إلى أن هذه النصوص الصحيحه تمثل أولية الشعر العربى ، لأنها - فى الحقيقة - إنما تمثل مرحلة من مراحل تطور هذا الشعر، وهى حقيقة تظل معها المشكلة قائمة، ويظل السؤال واردا: كيف كانت البداية التى مَهّدَتْ لهذه المرحلة؟ وكيف تحقق لهؤلاء الشعراء هذا المستوى الفنى الذى تمثله هذه النصوص ، والذى لا يمكن أن يكون مستوى البداية ؟ وكيف استقامت لهم هذه الصورة الدقيقة من اصطناع الوزن والقافية التى تدل على وجود محاولات سابقة من أجل الوصول إليها ؟ أو - بعبارة أخرى - كيف توصل هؤلاء الشعراء إلى فكرة « البيت » ؟

وأما النظرية الحديثة فمع أن بعض الباحثين لا يطمئنون إليها ، ويرون أنها مجرد فرض يعوزه الدليل الذى يثبته ، وتنقصه الوثائق التى تؤكده ،وأن شيوع الرجز لا يعنى قدمه ولا سبقه للأوزان الأخرى ، فهى ظنى أن ا نستطيع أن نرى فيها أساساً صالحاً لحل المشكلة ، ونتخذ منها قاعدة سليمة لتصور الموقف وتتبع الطريق الذى سلكه الشعر العربى منذ البداية ، أو - على أقل تقدير - للاقتراب من الحقيقة الضائعة المجهولة ، التى طوتها رمال الصحراء منذ أكثر من خمسة عشر قرنا من الزمان .

ومنذ البداية لابد من أن نسجل حقيقة لا شك فيها ، وهى أن الرجز